

الترهيب

عناصر الموضوع

٤١٤	مفهوم الترهيب
٤١٥	الترهيب في الاستعمال القرآني
٤١٦	الألفاظ ذات الصلة
٤١٨	أساليب عرض الترهيب
٤٢٢	مجالات الترهيب في القرآن
٤٤١	صور الترهيب في القرآن الكريم
٤٤٣	أثر الترهيب في سلوك المرء
٤٤٤	فوائد الترهيب في التربية والدعوة

مفهوم الترهيب

أولاً: المعنى اللغوي:

يرجع أصل الترهيب إلى الفعل الثلاثي (رهب) بالكسر يرهب رهبةً، ورهباً بالضم ورهباً بالتحريك، أي: خاف، ورهب الشيء رهباً ورهباً ورهبةً: خافه، والاسم الرهب والرهي والرهبوت والرهبوت، يقال: رجلٌ رهبوتٌ بفتح الهاء أي: مرهوب، وأرهبه واسترهبه أخافه^(١).

قال تعالى: ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠]. أي: تخوفونهم.
قال تعالى: ﴿وَلِيَّتِي قَارَهُبُونَ﴾ [البقرة: ٤٠]. أي: فخافون، الرهبة والرهب مخافة مع تحرز واضطراب، وتعني: الخوف والفرع، قال سبحانه: ﴿لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ﴾ [الحشر: ١٣].

فيرجع معنى الترهيب إلى التخويف بالعقاب والفرع والاضطراب^(٢).

ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

عرّفه عبد الرحمن النحلوي بتعريفين:

«وعيد وتهديد بعقوبة تترتب على اقتراف إثم أو ذنب، مما نهى الله عنه، أو التهاون في أداء فريضة مما أمر الله به».

وعرّفه أيضاً بقوله: «تهديد من الله يقصد به تخويف عباده، وإظهار صفة من صفات الجبروت والعظمة الإلهية؛ ليكونوا دائماً على حذر من ارتكاب الهفوات والمعاصي»^(٣).

وقيل: «وعيد وتهديد من الله سبحانه وتعالى بعقوبة عاجلة أو آجلة؛ لتخويف العباد من اقتراف الذنوب والمعاصي، أو التهاون في أداء الفرائض التي أمر الله بها»^(٤).

فالمعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي؛ إذ يرجع معنى الترهيب لغة إلى التخويف بالعقاب والفرع والاضطراب.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٤٣٧/١، القاموس المحيط، الفيروز آبادي، ١١٨/١، مختار الصحاح، الرازي، ٢٦٧/١، المصباح المنير، الفيومي ٢٤١/١، التعاريف، المناوي، ٣٧٥/١.

(٢) انظر: المفردات، ص ٣٦٧.

(٣) أصول التربية الإسلامية وأساليبها، ص ٢٥٧.

(٤) الترغيب والترهيب ودورها في استقامة الإنسان، أحمد رزق ص ٤.

الترهيب في الاستعمال القرآني

وردت مادة (رهب) في القرآن الكريم (١٢) مرة، يخص موضوع البحث منها (٨) مرات^(١).

والصيغ التي وردت هي:

الصيغة	عدد المرات	المثال
الفعل الماضي	١	﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَزْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف: ١١٦]
الفعل المضارع	٢	﴿وَفِي شُحَّتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]
فعل الأمر	٢	﴿وَلَا تَنِي فَارْهَبُونِ﴾ ^(٢) [البقرة: ٤٠]
مصدر	٣	﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ ^(٣) [القصص: ٣٢]

وجاء (الترهيب) في القرآن الكريم بمعناها اللغوي، وهو الخوف والفرع، أو مخافة مع تحرز واضطراب^(٢)، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعَبًا وَرَهَبًا﴾^(٣) [الأنبياء: ٩٠]. يعني: طمعًا وخوفًا^(٣).

(١) انظر: المعجم المفهرس، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٣٢٥.

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني ١ / ٣٦٦.

(٣) انظر: النكت والعيون، الماوردي ٣ / ٤٦٨.

الألفاظ ذات الصلة

١ التخويف:

التخويف لغة:

الإخافة، وهو إدخال الخوف في نفس المخاطب^(١).

التخويف اصطلاحًا:

إدخال الفزع في قلب المخاطب^(٢)؛ حثًا على التَّحَرُّز من ارتكاب محظور^(٣).

الصلة بين الترهيب والتخويف:

الترهيب أعم من التخويف، فالترهيب يكون بالتخويف وبغيره.

٢ التهديد:

التهديد لغة:

التَّخْوِيف^(٤)، والتَّوَعَّد بالعقوبة^(٥).

التهديد اصطلاحًا:

زعزعة أمن المخاطب بالوعيد^(٦)، وتخويفه بأمر مكروه مفسد لحاله.

الصلة بين الترهيب والتهديد:

التهديد: الوعيد والتخويف بالعقوبة^(٧)، فيتعلق بالعقوبة المحققة لمن أعرض عن الإنذار، والترهيب أعم.

(١) انظر: مختار الصحاح، الرازي ص ٩٨.

(٢) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٩٩ / ٩.

(٣) انظر: المفردات، الأصفهاني، ص ٣٠٣.

(٤) انظر: مختار الصحاح، الرازي، ص ٣٢٥.

(٥) انظر: المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ٩٧٦ / ٢.

(٦) انظر: المفردات، الأصفهاني، ص ٨٣٤.

(٧) لسان العرب، ابن منظور، ٤٣٣ / ٣.

٣ الوعيد:

الوعيد لغة:

التَّهْدِيدُ بِالشَّرِّ^(١).

الوعيد اصطلاحًا:

إنذار بما سيحدث من دمار ونكبات^(٢).

الصلة بين الترهيب والوعيد:

الوعيد يكون حاصلًا عن غضبٍ، قد يسكن ويزول^(٣) بزوال سببه، أما الترهيب فهو أعم.

٤ الترغيب:

الترغيب لغة:

يقول الراغب الأصفهاني: «الرَّغْبَةُ والرَّغْبُ والرَّغْبَى: السَّعَةُ فِي الْإِرَادَةِ»^(٤)، والرَّغْبَةُ إِرَادَةُ الشَّيْءِ وَالسَّعَةُ فِي الْإِرَادَةِ، فَإِذَا قِيلَ: رَغِبَ فِيهِ وَإِلَيْهِ؛ اقْتَضَى الْحَرَصَ عَلَيْهِ إِذَا أَرَادَهُ، وَالرَّغْبِيَّةُ الْعَطَاءُ الْكَثِيرُ لِكَوْنِهِ مَرْغُوبًا فِيهِ.

الترغيب اصطلاحًا:

«وعد من الله سبحانه وتعالى لعباده فيه تحبيب وإغراء بمصلحة، أو لذة أو متعة عاجلة أو آجلة، يتبعه حرص وإرادة، مقابل القيام بعمل صالح أو ترك عمل سيء؛ طاعة لله سبحانه وتعالى»^(٥).

الصلة بين الترهيب والترغيب:

أن الترهيب فيه إثارة للخوف والقلق، ويؤثر في النفس تنغيصًا، بينما الترغيب يعزز الأمن والاطمئنان، ويؤثر في النفس سرورًا، وعليه فإن اللفظين متضادان.

(١) انظر: تاج العروس، الزبيدي، ٩ / ٣٠٩، معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر مختار، ٣ / ٢٤٦٧.

(٢) انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، أحمد عمر مختار، ٣ / ٢٤٦٧.

(٣) انظر: المصباح المنير، الفيومي، ٢ / ٦٦٥.

(٤) المفردات، ص ٣٥٨.

(٥) الترغيب والترهيب ودورهما في استقامة الإنسان، أحمد رزق ص ٣.

أساليب عرض التهريب

إن المتدبر لآيات القرآن الكريم يجد أن أسلوب التهريب جاء على أربعة أنواع:

أولاً: أن يأتي التهريب في آية واحدة مستقلة:

وقع هذا النوع في كثير من الآيات القرآنية التي جاء التهريب فيها بآية مستقلة بذاتها، مثل قوله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَكَّرُوا إِلَهُمِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُهُ وَبَعْدَ قَاتِلِي فَارْهَبُون﴾ [النحل: ٥١].

يقول الشنقيطي في تفسيره: «نهى الله جل وعلا في هذه الآية الكريمة جميع البشر عن أن يعبدوا إلهاً آخر معه، وأخبرهم أن المعبود المستحق لأن يعبد وحده واحد، ثم أمرهم أن يرهبوه، أي: يخافونه وحده؛ لأنه هو الذي بيده الضر والنفع، لا نافع ولا ضار سواه»^(١)، ومن الأمثلة على هذا النوع أيضاً قوله تعالى في سورة النمل: ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتَ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٠].

ذكر الشوكاني ما أجمع عليه أهل التأويل في بيانه لهذه الآية: «إن المراد بالسَّيِّئَةِ هنا الشرك، ووجه التخصيص قوله: ﴿فَكَيْتَ وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ فهذا الجزاء لا يكون إلا بمثل سيئة الشرك، ومعنى: ﴿فَكَيْتَ

(١) أضواء البيان، ٢/ ٣٨٢.

وَجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ أنهم كبوا فيها على وجوههم وألقوا فيها وطرحوا عليها، يقال: كببت الرجل: إذا ألقيته لوجهه فانكبت وأكبت، وجملة ﴿هَلْ يُخْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بتقدير القول: أي: يقال ذلك، والقاتل: خزنة جهنم، أي: ما تجزون إلا جزاء عملكم»^(٢)، ومن الآيات الدالة على هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهِ تَكْذِبُونَ﴾ [السجدة: ٢٠].

فهذا نوع من أنواع التهريب إلى أولئك الذين فسقوا وخرجوا عن طاعة الله، فهؤلاء مقرهم النار التي جمعت الشقاء والعذاب، فكلما ظنوا بأنهم سوف يخرجون منها أُعيدوا وردوا للعذاب مرة أخرى، واشتد عليهم الكرب، فيقال لهم -إذلاً وإهانة-: ذوقوا العذاب الذي كنتم تكذبون به في دنياكم بسبب إنكاركم البعث والحساب^(٣).
ثانياً: أن يأتي التهريب في آيتين متتابعتين:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زِينَةً لَهُمْ أَعْمَلُهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ④ أُولَئِكَ الَّذِينَ

(٢) فتح القدير، ٤/ ١٧٩.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٣١/٢١، أيسر التفاسير، الجزائري، ٢٣٢/٤، تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٦٥٦.

آيات الكتاب المجيد سخرية واستهزاء، وهذا أدخل في القبح، وأغرق في الضلال ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ أي: لهم عذاب شديد مع الذلة والهوان ﴿وَإِذَا نُنَادِيهِمْ﴾ أي: وإذا قرئت عليه آيات القرآن ﴿وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا﴾ أي: لم يمتدبر وأدبر متكبراً عنها كأنه لم يسمعها، شأن المتكبر الذي لا يلتفت إلى الكلام، ويجعل نفسه كأنها غافلة ﴿كَانَ فِي أذْنِهِ وَقْرٌ﴾ أي: كأن في أذنيه ثقلاً وصمماً يمنعانه عن استماع آيات الله ﴿فَنَشِرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: أنذر يا محمد بعذاب مؤلم، مفرط في الشدة والإيلام، ووضع البشارة بأشد العذاب» (٣).

وهكذا نجد أن القرآن الكريم ذكر آيات كثيرة في كتابه تدرج تحت هذا النوع من أنواع الترهيب؛ حتى يكون المسلم على حذر من الوقوع في أي معصية أو ذنب، يستحق بسببهما العذاب سواء في الدنيا أو الآخرة.

ثالثاً: أن يأتي الترهيب في مقطع قرآني:

قال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝١٦ لِّلطَّغْيَيْنِ مَنَآبٍ ۝١٧ لَّيْسِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ۝١٨ لَا يَدْخُلُونَهَا فِيْهَا بَرْدٌ وَلَا شَرَابٌ ۝١٩ إِلَّا حِمِيمًا وَعَسَاقًا ۝٢٠ جَزَاءً وَفَاقًا ۝٢١ إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ

لَهُمْ سِوَهُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْآخَسُونَ﴾ [النمل: ٣-٦].

يقول الإمام الطبري: «إن الذين لا يصدّقون بالدار الآخرة، وقيام الساعة، وبالمعاد إلى الله بعد الممات والثواب والعقاب، ﴿زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ﴾ يقول: حببنا إليهم قبيح أعمالهم، وسهلنا ذلك عليهم. ﴿فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ يقول: فهم في ضلال أعمالهم القبيحة التي زينّاها لهم يتردّدون حيارى يحسبون أنهم يحسنون» (١)، فكان جزاء هؤلاء العذاب كالقتل والأسر في الدنيا، وفي الآخرة كانوا أشد الناس خسارة لفوات المثوبة واستحقاق العقوبة» (٢).

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝٦ وَإِذَا نُنَادِيهِمْ﴾ أي: وإذا نزل عليه ﴿أَيْنُنَا﴾ أي: أين نحن؟ ﴿وَلَمْ يَسْتَكْبِرُوا﴾ أي: لم يمتدبر وأدبر متكبراً عنها كأنه لم يسمعها ﴿كَانَ فِي أذْنِهِ وَقْرٌ﴾ أي: كأن في أذنيه ثقلاً وصمماً يمنعانه عن استماع آيات الله ﴿فَنَشِرُهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان: ٦-٧].

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي» ما يلهي عن طاعة الله، ويصد عن سبيله، مما لا خير ولا فائدة فيه ﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ أي: ليضل الناس عن طريق الهدى، ويعدمهم عن دينه القويم، بغير حجة ولا برهان ﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾ أي: ويتخذها هزواً.

(١) جامع البيان، ١٩/٤٢٦.

(٢) انظر: لباب التأويل، الخازن، ٣/٣٣٧، أنوار التنزيل، البيضاوي، ٤/١٥٤.

(٣) صفوة التفاسير، الصابوني، ٢/٤٤٨.

حَسَابًا ﴿٧﴾ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ﴿٨﴾ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٩﴾ فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿١٠﴾ [النبا: ٢١ - ٣٠].

يقول الزحيلي في تفسيره: ﴿مَرَصَادًا﴾ موضع رصد، يرصد فيه خزنة النار للطاغين الكافرين، الذين طغوا بمخالفة أوامر ربهم، ﴿مَنَابًا﴾ مرجعًا ومأوى، لاثنين مقيمين، ﴿أَحْقَابًا﴾ دهورًا لا نهاية لها، جمع حقب، وواحدها حقبة، وهي مدة مبهمه من الزمان، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا﴾ برودة الهواء، ويطلق أيضًا على النوم، ﴿وَلَا شَرَابًا﴾ أي: ما يشرب تلذذًا لتسكين العطش، ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ الحميم: الماء الحارّ الشديد الغليان، ﴿وَسَّاقًا﴾ قيح وصيد أهل النار الدائم السيلان من أجسادهم، ﴿جَزَاءً وَفَاقًا﴾ أي: جوزوا بذلك جزاء موافقًا لأعمالهم وكفرهم، فلا ذنب أعظم من الكفر، ولا عذاب أعظم من النار، ﴿لَا يَرْجُونَ﴾ لا يخافون أو لا يتوقعون ﴿حَسَابًا﴾ محاسبة على أعمالهم لإنكارهم البعث، ﴿بِآيَاتِنَا﴾ القرآن ﴿كَذَابًا﴾ تكذيبًا كثيرًا، ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾ أي: من الأعمال ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ ضبطناه، ﴿كِتَابًا﴾ أي: ضبطناه بالكتابة، ﴿فَذُوقُوا﴾ أي: فيقال لهم في الآخرة عند وقوع العذاب عليهم: ذوقوا جزاءكم، ﴿فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ أي: فوق عذابكم^(١).

ومن الأمثلة على الترهيب في مقطع قرآني، ما وصفه الله سبحانه وتعالى من العذاب لأهل النار، في قوله تعالى في سورة الواقعة: ﴿وَأَحْصَتْ السَّمَاءُ مَا أَحْصَاهُ السَّمَاءُ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَجِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٤].

يقول جلال الدين المحلي: ﴿فِي سَمُومٍ﴾ ريح حارة من النار تنفذ في المسام ﴿وَجِيمٍ﴾ ماء شديد الحرارة ﴿وِظِلٍّ مِّنْ يَحْمُومٍ﴾ دخان شديد السواد، ﴿لَا بَارِدٍ﴾ كغيره من الظلال ﴿وَلَا كَرِيمٍ﴾ حسن المنظر^(٢).

وبعد هذه الآيات ذكرت لنا السورة أسباب استحقاق هؤلاء الكفار للعذاب في أنهم كانوا منعمين بالحرام في الدنيا، وكانوا يصرون على الشرك بالله، وأنكروا البعث والجزاء، ثم جاءت الآيات لتصف لنا أنواعًا أخرى من العذاب، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الْفَاعِلُونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَا يَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ ﴿٥٢﴾ فَلَيُغَوَّيْنَهَا الْبُطُونُ ﴿٥٣﴾ فَشَرِبُوا مِن ظِلِّهِ مِّنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَرِبُوا شَرِبَ الْهَيْمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا نَزَلْنَاهُ يَوْمَ الَّذِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٦].

يقول القاسمي في تفسيره: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَنتُمُ الْفَاعِلُونَ الْمُكَذِّبُونَ﴾ أي: الجاهلون المصرون على جهالاتهم، والجاحدون للبعث، ﴿لَا يَكُونُ مِن شَجَرٍ مِّن زُقُومٍ﴾ وهو من أخبث شجر

(١) التفسير المنير، ١٦/٣٠.

(٢) تفسير الجلالين، ص ٧١٥.

وأحصاه وبخل بإنفاقه مخلّده في الدنيا، فمزيل عنه الموت، ثم أخبر -جل ثناؤه- أنه هالك ومعذب على أفعاله ومعاصيه التي كان يأتيها في الدنيا، فقال -جل ثناؤه-: ﴿لَيُبَدِّلَنَّ فِي السَّاعَةِ﴾ ليقذفن يوم القيامة في الحطمة، والحطمة: اسم من أسماء النار، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا السَّاعَةُ﴾ وأي شيء أشعرك يا محمد ما الحطمة، ثم أخبره عنها ما هي، ﴿نَارُ اللَّهِ الْمَوْقِدَةُ﴾ التي تطلع على الآفئدة، يقول: التي يطلع ألهما ووهجها القلوب، ﴿إِنَّمَا عَلَيْهِمْ مُّؤَصَّدَةٌ﴾ يعني: على هؤلاء الهمازين اللمازين ﴿مُؤَصَّدَةٌ﴾: مطبقة، ﴿عَمِدٌ مُّمدَّدَةٌ﴾ أنهم يعذبون بعمد في النار، والله أعلم كيف تعذيبه إياهم بها^(٢).

من خلال ما سبق بيانه، ظهر لنا أن القرآن الكريم استخدم أنواع الترهيب المختلفة في كتابه، وإن دل ذلك على شيء، فإنما يدل على أن القرآن الكريم لم يغفل هذا الجانب؛ لأهميته في حياة المسلم، وأثره الكبير في استقامة الإنسان على طاعة ربه وامتنال أوامره واجتناب نواهيه؛ كي ينجو من العذاب الذي أعدّه الله سبحانه وتعالى لمن عصاه وأشرك به، ويفوز بالجزاء العظيم، والنعيم المقيم الذي أعدّه لعباده المتقين.

البادية في المرارة، وبشاعة المنظر، وتتن الرياح ﴿فَالْقَوْنَ﴾ منها ﴿الْبَطُونَ﴾ أي: من ثمراتها الوبيئة البسعة المحرقة، ﴿فَشَرُّونَ عَلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ﴾ أي: الماء الذي انتهى حره وغليانه، ﴿فَشَرُّونَ شَرِّ الْمَيِّ﴾ أي: الإبل التي بها الهيام، وهو داء لا ربي معه؛ لشدة الشغف والكلب، بها ﴿هَذَا نَزَلْنَاهُ يَوْمَ الدِّينِ﴾ أي: جزاؤهم في الآخرة^(١).

رابعاً: أن يأتي الترهيب في سورة قرآنية:

من أنواع الترهيب في القرآن الكريم ما جاء في سورة قرآنية، مثل ما جاء في سورة الهمزة.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ لَّمْزَةً ۚ﴾ الذي جمع مالا وعدده^(١) يحسب أن ماله أخذ^(٢) كلاً ليبدن في الحطمة^(٣) وما أدراك ما الحطمة^(٤) نار الله الموقدة^(٥) التي تطلع على الآفئدة^(٦) إنما عليهم مؤصدة^(٧) في عميد ممددة^(٨) [الهمزة: ١-٩].

يقول الطبري: ﴿وَبَلِّغْ لِكُلِّ هُمْزَةٍ﴾ الوادي يسيل من صديد أهل النار وقيحهم، ﴿لِكُلِّ هُمْزَةٍ﴾: لكل مغتاب للناس، ﴿الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ﴾ ولم ينفقه في سبيل الله، ولم يؤد حق الله فيه، ولكنه جمعه فأوعاه وحفظه، يحسب أن ماله الذي جمعه

(٢) جامع البيان، ٢٤/٥٩٩.

(١) محاسن التأويل، ٩/١٢٥.

مجالات التهريب في القرآن

يسعى الشيطان جاهداً ليقوع الإنسان في الضلال والغواية، ويجعله يرتكب جرائم عديدة، أخطرها تلك التي تتعلق بحق الله سبحانه وتعالى، كالكفر والشرك والنفاق، وقد رهّب سبحانه وتعالى من هذه الجرائم ورّتب عليها عقوبات زاجرة؛ حتى تكون مانعة للإنسان من الوقوع فيها، فإن الشرك خطره كبير، فهو من أكبر الكبائر، ومن أعظم الظلم، فهو سبب في عدم مغفرة الذنب، كذلك النفاق أشد خطراً من الكفر والشرك، وقد جاءت الآيات القرآنية تحذّر من الوقوع فيه، وقد توعدّ الله سبحانه وتعالى المنافقين بالعذاب الشديد يوم القيامة، وإن الكفر من الجرائم المتعلقة في حق الله سبحانه وتعالى؛ لأنه منافٍ للإيمان، ومحبط للعمل، فقد رتب الله سبحانه وتعالى على مرتكبي هذه الجرائم أشد العقوبات وأبشعها؛ لأنها من الأعمال السيئة؛ كي تكون رادعة للإنسان في حياته الدنيا وزاجرة له، وسوف نتحدث في هذه السطور عن مجالات التهريب في القرآن كالكفر والشرك والنفاق، والأعمال السيئة والعقاب:

أولاً: الكفر:

إنّ الكفر والشرك والنفاق من الجرائم المتعلقة بحق الله سبحانه وتعالى.

ولذا فقد رهّب الله سبحانه وتعالى من هذه الأمور، ورّتب عليها العقوبات، وهذا ما ستحدث عنه:

ويعدّ الكفر من الجرائم المتعلقة بحق الله؛ لأنه منافٍ للإيمان، وقد ذم الله سبحانه وتعالى الكفر.

وبيّن سوء عاقبته على الكافرين في كثير من آيات القرآن الكريم، وتوعدّهم بالعذاب والهلاك، ومن صور الوعيد ما يلي:

١. العذاب الأليم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١].

بيّن سبحانه وتعالى حال أولئك الكافرين ومصيرهم، فهم يكفرون بآيات الله، وهي الدلائل الواضحة، وما بعث به رسله، ويقتلون مع ذلك النبيين بغير حق ولا سبب موجب للقتل، ويقتلون الذين يأمرهم من أتباع الأنبياء المؤمنين الصالحين، فكان مصيرهم العذاب الأليم^(١).

(١) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٣٠٠/١.

الهلاك والبوار، وفيه الضلال عن الهدى^(٣).

٤. لعنة الله والملائكة على الكافرين.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].

يقول ابن كثير في تفسيره: «ثم أخبر تعالى عن كفر به، واستمر به الحال إلى مماته بأن ﴿عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ أي: في اللعنة التابعة لهم إلى يوم القيامة، ثم المصاحبة لهم في نار جهنم التي لا يخفف عنهم العذاب فيها، أي: لا ينقص عما هم فيه، ولا هم ينظرون، أي لا يغيّر عنهم ساعة واحدة ولا يفتّر، بل هو متواصل دائم، فنعوذ بالله من ذلك»^(٤)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤].

٥. شراب الكافرين من الحميم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٤].

يخبر سبحانه وتعالى عن أولئك الذين جحدوا وحدانية الله، ورسالة رسوله صلى الله عليه وسلم، بأن لهم شراباً من ماء حارّ شديد الحرارة، يشوي الوجوه ويقطّع

٢. العذاب المهين.

قال تعالى: ﴿وَاللَّكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠].

توعدّ الله سبحانه وتعالى الكافرين بالعذاب المهين وهو الذي يهين صاحبه ويذله في الدنيا والآخرة؛ وذلك بسبب كفرهم بالله وما أنزل على رسوله^(١).

٣. الضلال المبين.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾، وبمحمد وما جاء به من عند الله.

يقول السعدي في تفسيره: «واعلم أن الكفر بشيء من هذه المذكورات، كالكفر بجميعها؛ لتلازمها وامتناع وجود الإيمان ببعضها دون بعض»^(٢).

وقد بيّن سبحانه وتعالى جزاء من يكفر بهذه المذكورات ﴿فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ فإنه يعني: فقد ذهب عن قصد السبيل، وجار عن محجة الطريق إلى المهالك؛ لأن كفر من كفر بذلك، خروج منه عن دين الله الذي شرعه لعباده، والخروج عن دين الله فيه

(١) انظر: فتح القدير، الشوكاني، ٥/ ٢٦٢.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ٢٠٩.

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري، ٩/ ٣١٤.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ٢/ ١٣٨.

الأمعاء، ولهم عذاب موجه بسبب كفرهم وضلالهم^(١).

٦. الكافرون لا مولى لهم، ولا ناصر ينصرهم.

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

إن الله سبحانه وتعالى ولي المؤمنين وناصرهم ومؤيدهم، أما الكافرون فـ ﴿لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ ينصرهم، أو يدفع عنهم ما حل بهم من دمار وخسران بسبب كفرهم وجحودهم^(٢).

٧. الخلود في نار جهنم.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩].

يقول البغوي: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ يعني: جحدوا، ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾ بالقرآن، ﴿أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ يوم القيامة، ﴿هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ لا يخرجون منها، ولا يموتون فيها^(٣).

وهكذا نجد أن الله سبحانه وتعالى توعد من كفر، أو وقع في الكفر بأنواع عديدة من العذاب، ولما علم الإنسان ماله من الوعيد

حينما يكفر بالله عز وجل وآياته، وأن مأواه جهنم، وأن الله عز وجل سيذله ويذيقه من العذاب الأليم والشراب الحميم، ويلعنه الله والملائكة والناس أجمعون، ويخلد في نار جهنم، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩].

فإن الإنسان لا يستقيم حاله إلا بإقراره بوحدانية ربه وتوحيده، وتجعله يسير وفق ما يريد الله عز وجل، ويجتنب الأمور التي توقع صاحبها في الكفر، فإن علم الإنسان المسلم ذلك، فإنه سينقاد إلى طاعة خالقه عز وجل، ويتعد عن الكفر، ويكفر بكل ما عبد من غير الله عز وجل، من حجر، وشجر وغيره.

يقول الله عز وجل: ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

فالإيمان بالله سبب من أسباب استقامة الإنسان على طاعة الرحمن، والبعد عن طاعة الشيطان.

ثانيًا: الشرك:

إن الشرك جريمة عظيمة بحق الله سبحانه وتعالى، فالشرك ظلم النفس، حيث وصفه سبحانه وتعالى بأنه أعظم الظلم،

(١) انظر: روح المعاني، الألوسي، ٧/ ٤٣٠.

(٢) انظر: الوسيط، محمد سيد طنطاوي، ٣٨٨٦/١.

(٣) معالم التنزيل، ٨٦/١.

قاتل بالزور وعامل بالباطل، ومن هنا كان ذنبه عظيمًا^(٢)، فمن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أنه يغفر الذنوب مهما عظمت، فإذا تاب المشرک عن شرکه، ورجع إلى ربه وأناب، فإن الله سبحانه وتعالى يغفر له، يقول الإمام السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: «وهذه الآية الكريمة في حق غير التائب، وأما التائب فإنه يغفر له الشرک فما دونه، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ أَشْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣].

أي: لمن تاب إليه وأناب؛ ولهذا حتم على صاحبه بالخلود بالعذاب وحرمان الثواب^(٣)، قال تعالى: ﴿وَلِيَّ لَفْقَارٍ لِّمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

٢. وصف الله الشرک بأنه ظلم عظيم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

يقول ابن عاشور في تفسيره: «والمراد بالظالمين ابتداءً: المشركون، أي: الذين ظلموا أنفسهم إذ أشركوا بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. والظلم يشمل أيضًا عمل المعاصي الكبائر، كما وقع في قوله تعالى: ﴿وَيَنْبَغِي لِلَّهِ أَنْ يَتَنَزَّهَ عَنِ الشِّرْكِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

(٢) أيسر التفاسير، ١/ ٤٨٩.

(٣) تيسير الكريم الرحمن، ص ١٨١.

قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وذلك لأن المشرک يجعل المخلوق في منزلة الخالق؛ لذلك جاء التحذير منه في القرآن الكريم، واعتبره الرسول صلى الله عليه وسلم كبيرة من كبائر الذنوب، فالشرک: جعل شريك لله في ربوبيته أو إلهيته، كأن يدعو مع الله غيره، أو يصرف له شيئًا من أنواع العبادة، كالذبح والنذر والخوف والرجاء^(١).

ولقد تنوعت دلالة النصوص على ذم الشرک، والتحذير منه وبيان خطره، وسوء عاقبته على المشرکين في الدنيا والآخرة، وبيان ذلك في النقاط الآتية:

١. الشرک الذنب الذي لا يغفر إلا بتوبة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

يقول أبو بكر الجزائري: «فأخبر تعالى عن نفسه بأنه لا يغفر الذنب المعروف بالشرک والكفر، وأما سائر الذنوب كبيرها وصغيرها فتحت المشيئة، إن شاء غفرها لمرتكبها فلم يعذبها بها، وإن شاء أخذه بها وعذبها، وأن من يشرك به تعالى فقد اختلق الكذب العظيم؛ إذ عبد من لا يستحق العبادة، ومن لا حق له في التأليه؛ فلذا هو

(١) انظر: عقيدة التوحيد، صالح الفوزان، ص ٥١.

ذُرِّيَّتَيْهِمَا حَسِينٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِيتٌ ﴿١١٣﴾
[الصفات: ١١٣].

وقد وصف القرآن اليهود بوصف الظالمين في قوله: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَخُصَّكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥].

فالمراد بالظلم: المعاصي الكبيرة وأعلامها الشرك بالله تعالى^(١)، وإن أول وصية وصى بها لقمان ابنه وهو يعظه ألا يشرك بالله؛ لخطره على صاحبه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقَالُتْمْ لِبَنِيهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْتَئِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

٣. الشرك محبطٌ لجميع للأعمال، وسببٌ في خسران صاحبه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥].

أي: أوحى الله سبحانه وتعالى إلى محمد صلى الله عليه وسلم كما أوحى إلى الأنبياء من قبله، ﴿لَئِنْ أَشْرَكَتَ﴾ بنا غيرنا في عبادتنا ﴿لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ﴾ أي: يبطل كله، ولا تثاب على شيء منه وإن قل، ﴿وَلَتَكُونَنَّ﴾ بعد ذلك من جملة الخاسرين الذين يخسرون أنفسهم وأهلهم يوم

القيامة، وذلك هو الخسران المبين^(٢)، وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

يقول ابن كثير: «هذا تشديد لأمر الشرك، وتغليظ لشأنه، وتعظيم لملاسته»^(٣).

٤. تحريم دخول الجنة على المشرك.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

يقول ابن جرير الطبري في تفسيره: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾، أن يسكنها في الآخرة، ﴿وَمَأْوَهُ النَّارُ﴾ يقول: ومرجه ومكانه الذي يأوي إليه ويصير في معاده، من جعل لله شريكاً في عبادته نار جهنم، ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ﴾، يقول: وليس لمن فعل غير ما أباح الله له، وعبد غير الذي له عبادة الخلق، ﴿مِنْ أَنْصَارٍ﴾، ينصرونه يوم القيامة من الله، فينقذونه منه إذا أورده جهنم^(٤).

(٢) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٥٠٥/٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ٤٤٥/٥.

(٤) جامع البيان، ٤٨١/١٠.

(١) التحرير والتنوير، ٧٠٦/١.

ذلك، ولا تزالوا على هذا الأمر؛ حتى يتوبوا من شركهم»^(٤).

٦. براءة الله سبحانه و تعالى من المشركين ورسوله صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ رَبِّكَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ﴾ [التوبة: ٣].

أمر النبي صلى الله عليه وسلم مؤذنه أن يؤذن يوم الحج الأكبر، وهو يوم النحر، وقت اجتماع الناس مسلمهم وكافرهم، من جميع جزيرة العرب، أن يؤذن بأن الله بريء ورسوله من المشركين، فليس لهم عنده عهد وميثاق، فأينما وجدوا قتلوا، وقيل لهم: لا تقربوا المسجد الحرام بعد عامكم هذا، وكان ذلك سنة تسع من الهجرة، ثم رغب تعالى المشركين بالتوبة، ورهبهم من الاستمرار على الشرك^(٥).

فقال تعالى: ﴿إِنْ تَبَيَّنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ عِزٌّ مُعْجِزٌ لِلَّهِ﴾ [التوبة: ٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه قال: (أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل

٥. المشرك حلال الدم والمال.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُوهُمْ وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: ٥].

يقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمَ﴾ أي: «التي حرم فيها قتال المشركين المعاهدين، وهي الأشهر الحرم الأربعة»^(١)، وتام المدة لمن له مدة أكثر منها، ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ في أي مكان وزمان^(٢)، يقول القرطبي: «يقتضي جواز قتلهم بأي وجه كان، إلا أن الأخبار وردت بالنهي عن المثلة»^(٣)، ﴿وَخُذُوهُمْ﴾ أسرى ﴿وَأَخْصِرُوهُمْ﴾ أي: ضيقوا عليهم واحبسوهم، فلا تدعوهم يتوسعون في بلاد الله وأرضه، التي جعلها الله معبداً لعباده، فهؤلاء ليسوا أهلاً لسكنها، ولا يستحقون منها شبراً؛ لأن الأرض أرض الله، وهم أعداؤه المتناذرون له ولرسله، المحاربون الذين يريدون أن تخلو الأرض من دينه، ويأبى الله إلا أن يتم نوره، ولو كره الكافرون، ﴿وَأَقْعِدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ أي: كل ثنية وموضع يمرون عليه، ورابطوا في جهادكم، وابدلوا غاية مجهودكم في

(١) الأشهر الحرم أربعة هي: ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، رجب.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٣٢٩.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ٧٢/٨.

(٤) انظر: تيسير الكريم الرحمن، السعدي، ص ٣٢٩.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٢٨.

عملاً فأشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك^(١).

٧. نجاسة المشرك (المعنوية).

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

يقول الإمام السعدي: ﴿نَجَسٌ﴾ أي: خبثاء في عقائدهم وأعمالهم، وأي نجاسة أبلغ ممن كان يعبد مع الله آلهة لا تنفع ولا تضر، ولا تغني عنه شيئاً، وأعمالهم ما بين محاربة لله، وصد عن سبيل الله ونصر للباطل، ورد للحق، وعمل بالفساد في الأرض لا في الصلاح^(٢).

٨. الشرك افتراءٌ وإثم عظيمٌ على الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨].

ومن يشرك بالله في عبادته، ﴿فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ أي: اختلق ﴿إِثْمًا عَظِيمًا﴾، وإنما جعله الله تعالى مفترياً؛ لأنه قال زوراً، وإفكاً بجحوده وحدانية الله، وإقراره بأن لله شريكاً من خلقه.

لما يعلم الإنسان خطر الشرك، فإنه سيئذل قصارى جهده من أجل عدم الوقوع فيه؛ لأن الشرك سبب في عدم مغفرة

الذنوب، فالمشرك حلال الدم والمال، وإن الله سبحانه وتعالى تبرأ من المشركين ورسوله صلى الله عليه وسلم.

فالشرك يوجب لصاحبه العذاب في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿لَيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣].

فهو أبغض الأشياء إلى الله، قال ابن القيم: «إن الشرك لما كان أظلم الظلم، وأقبح القبائح، وأنكر المنكرات، كان أبغض الأشياء إلى الله، وأكرهها له وأشدّها مقتاً لديه، ورُتب عليه من عقوبات الدنيا والآخرة ما لم يرتبه على ذنب سواه، وأخبر أنه لا يغفره، وأن أهله نجس، ومنعهم من قربان حرمه، وحرّم ذبائحهم ومناكحتهم، وقطع الموالاة بينهم وبين المؤمنين، وجعلهم أعداء له سبحانه ولملأئحته ورسله وللمؤمنين، وأباح لأهل التوحيد أموالهم ونساءهم وأبنائهم وأن يتخذوهم عبيداً؛ وهذا لأن الشرك هضم لحق الربوبية، وتنقيص لعظمة الإلهية»^(٣).

فيجب على الإنسان أن يتحرر من جميع مظاهر الشرك، وأن يقلع عنها، ويستنير بنور التوحيد؛ لأنه سبب في مغفرة الذنوب واستقامة الإنسان، يقول ابن القيم: «فإن التوحيد الخالص الذي

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد، باب من أشرك في عمله، ٤/ ٢٢٨٩، رقم ٢٩٨٥.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، ص ٣٣٣.

(٣) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١/ ٦٠.

١. أنهم يقولون بألستهم ما ليس في قلوبهم.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتُونَ الْآخِرَ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

ومن الناس فريق يتردد متحيراً بين المؤمنين والكافرين، وهم المنافقون الذين يدعون الإيمان بألستهم ويضمرون الكفر في قلوبهم، وهم في باطنهم كاذبون لم يؤمنوا بالله ولا باليوم الآخر، فنفى الله سبحانه وتعالى عنهم صفة الإيمان؛ لأنهم أشد خطورة من الكافرين^(٣).

٢. خداع الله سبحانه وتعالى والمؤمنين.

قال تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ٩].

يقول ابن كثير في تفسيره للآية: «يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا» أي: بإظهارهم ما أظهروه من الإيمان مع إسرارهم الكفر، يعتقدون بجهلهم أنهم يخادعون الله بذلك، وأن ذلك نافعهم عنده، وأنه يروج عليه كما يروج على بعض المؤمنين.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْطِفُونَ لَهُمْ كُلًّا مِّمَّنْ كَانُوا وَعَدُوهُمْ أَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ مُّصْرَقُونَ﴾ [البقرة: ٢٥].

(٣) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٢٥/١.

لا يشوبه شرك، لا يبقى معه ذنب فإنه يتضمن من محبة الله تعالى، وإجلاله، وتعظيمه وخوفه، ورجائه وحده مما يوجب غسل الذنوب، ولو كانت قراب الأرض^(١)، فالذي يتوجه إلى ربه بالعبادة وحده لا شريك له، ولا يصرف شيئاً من العبادة لغيره، فقد حقق التوحيد واستقام على شرع الله سبحانه وتعالى.

ثالثاً: النفاق:

إن النفاق داء عضال، وانحراف خطير في حياة الأفراد والمجتمعات والأمم، فخطره عظيم، وشرو أهله كثيرة، وتكمن خطورته في آثاره المدمرة على حياة الأفراد والمجتمعات.

النفاق معناه: إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشرك^(٢).

وسوف نتحدث عن النفاق ونبين صفات المنافقين؛ حتى يكون المسلم على حذر من الوقوع في النفاق، ومما يعين المسلم على ذلك تدبر ما ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه من صفاتهم، وما صحت به السنة النبوية، إن للمنافقين صفات كثيرة نشير إليها مجرد إشارات مختصرة، وإلا فإن التفصيل يحتاج إلى مؤلفات تفصح ما هم عليه، ومن أهم صفات المنافقين ما يأتي:

(١) المصدر السابق، ٦٤/١.

(٢) انظر: عقيدة التوحيد، صالح الفوزان، ص ٥٨.

الْكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ [المجادلة: ١٨]؛ ولهذا قابلهم على اعتقادهم ذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ يقول: وما يغترون بصنيعهم هذا ولا يخدعون إلا أنفسهم، وما يشعرون بذلك من أنفسهم^(١).
٣. الإفساد في الأرض بالقول والفعل.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٢].

يقول سيد طنطاوي في تفسيره: «الفساد: خروج الشيء عن حالة الاعتدال والاستقامة، وعن كونه منتفعاً به، وضده الصلاح، يقال: فسد الشيء فساداً، وأفسده إفساداً، والمراد به هنا: كفرهم، ومعاصيهم، ومن كفر بالله وانتهك محارمه فقد أفسد في الأرض؛ لأن الأرض لا تصلح إلا بالتوحيد والطاعة، ومن أبرز معاصي هؤلاء المنافقين، ما كانوا يدعون إليه في السر من تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم، وإلقاء الشبه في طريق دعوته، والتحالف مع المشركين ضد المسلمين، كلما وجدوا لذلك سبيلاً»^(٢).

٤. الاستهزاء بالمؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّمَا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَؤُونَ ﴿١٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩] الله يستهزئ يومئذ بهم ويؤذيهم في

طَلْفَيْنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٤﴾ [البقرة: ١٤-١٥].

«هؤلاء المنافقون إذا قابلوا المؤمنين قالوا: صدقنا بالإسلام مثلكم، وإذا انصرفوا وذهبوا إلى زعمائهم الكفرة المتمردين على الله، أكدوا لهم أنهم على ملة الكفر لم يتركوها، وإنما كانوا يستخفون بالمؤمنين، ويسخرون منهم، فالله سبحانه وتعالى يستهزئ بهم معاملة لهم بالمثل؛ لتزداد حيرتهم، وتضطرب نفوسهم، وتضل عقولهم؛ لأنهم استبدلوا الإيمان بالكفر والإخلاص بالنفاق»^(٣).

٥. المنافقون يحلفون كذباً ليستروا جرائمهم.

قال تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢].

يقول ابن كثير في تفسيره: «أي: اتقوا الناس بالأيمان الكاذبة، والحلفان الآثمة؛ ليصدقوا فيما يقولون، فاعتر بهم من لا يعرف جليلة أمرهم، فاعتقدوا أنهم مسلمون، وربما اقتدى بهم فيما يفعلون، وصدقهم فيما يقولون، وهم من شأنهم أنهم كانوا في الباطن لا يألون الإسلام وأهله خبلاً -مفسدة- فحصل بهذا القدر ضرر كبير على كثير من الناس»^(٤).

(٣) أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ١/ ٢٨.

(٤) تفسير القرآن العظيم، ٥/ ١٤.

(١) تفسير القرآن العظيم، ١/ ٢٨٣.

(٢) الوسيط، ١/ ٢٧.

الْمَدِينَةَ لِيُخْرِجَ الْأَعْرَضَ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ
الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ ﴿[المنافقون: ٨].﴾

٧. المنافقون يعملون على تهوين
المؤمنين وتخذلهم.

قال تعالى: ﴿وَلَا يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ
فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا
﴿١٢﴾ وَلَئِذَا قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَأْتِ أَهْلٌ لَا مِقَامَ
لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ
إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾
وَلَوْ دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ آفَاقٍهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ
لَأَنَافَتُهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا بَسِيرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ كَانُوا
عِنْدَهُ وَاللَّهُ مِنْ قَبْلِ لَا يَتَوَلَّوْنَ الْأَذَنَ وَكَانَ عَهْدُ
اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾ قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ
مِنْ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْنعُونَ إِلَّا قَلِيلًا
﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِيكُمْ مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ
سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ
اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ
وَالْقَائِلِينَ لِإِخْرَاجِهِمْ هَلُمْ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسَ إِلَّا
قَلِيلًا ﴿[الأحزاب: ١٢ - ١٨].﴾

يقول المنافقون والذين في قلوبهم شك
ومرض: ما وعدنا الله ورسوله من النصر
والتمكين إلا باطلاً من القول والغرور، فلا
تصدقوا، واذكر يا محمد قول طائفة من
المنافقين الذين ينادون المؤمنين من أهل
المدينة: لا إقامة لكم في معركة خاسرة،
فارجعوا إلى منازلكم؛ لأنها غير محصنة،
فالحق أنهم قصدوا بذلك الفرار من القتال،

٦. موالاة المنافقين للكافرين
ونصرتهم على المؤمنين.

قال تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٧٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتَبْنَحُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ
لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿[النساء: ١٣٨، ١٣٩].﴾

يقول الإمام الشوكاني: «إطلاق البشارة
على ما هو شر خالص لهم تهكم بهم» (١).
وقد وصف الله سبحانه وتعالى
حال المنافقين بأنهم يوالون الكافرين،
ويتخذونهم أعمالاً لهم، ويتركون ولاية
المؤمنين، ولا يرغبون في مودتهم،
أيطلبون بذلك النصرة والمنعة عند
الكافرين؟ إنهم لا يملكون ذلك، فالنصرة
والعزة والقوة جميعها لله تعالى وحده (٢).
وهذا المعنى الذي دللت عليه هذه الآية
الكريمة، جاء موضحاً في آيات من كتاب
الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ
دُونِ اللَّهِ إِلَهًا لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا
سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا
﴿مريم: ٨٢﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾

وقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى

(١) فتح القدير، ١/٧٩٣.

(٢) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي، ٦/٢٨٠.

فهؤلاء المنافقون عاهدوا الله سبحانه وتعالى ألا يفروا من الحرب، وألا يتأخروا إذا دعوا إلى الجهاد؛ لكنهم خانوا عهدهم وسيحاسبهم الله سبحانه وتعالى على تلك الخيانة وعدم وفائهم بالعهد، وقل يا محمد لهؤلاء المنافقين: ﴿لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفَرَارُ﴾ من المعركة خوفاً من الموت أو القتل، فإن ذلك لا يؤخر آجالكم، وإن فررتم فلن تتمتعوا إلا بقدر أعمالكم المحدودة، وهو زمن يسير جداً بالنسبة للآخرة، ومن الذي يمنع المنافقين من عذاب الله وسخطه، فالمنافقون ليس لهم من دون الله ناصر ينصرهم، وإن الله سبحانه وتعالى يعلم المشبطين من المنافقين عن الجهاد في سبيل الله، فكان ديدن هؤلاء المنافقين العمل على تهوين المؤمنين وتثيبتهم وتخذلهم^(١).

٨. التحاكم إلى الطاغوت.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَى إِلَى الَّذِينَ يَرْعَمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الظَّالِمِينَ وَقَدْ أُسْرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ۖ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ۝﴾ [النساء: ٦٠، ٦١].

هكذا حال المنافقين: إنهم يتركون

التحاكم إلى الله ورسوله، فهم حين لا يقبلون حكم الله ورسوله، ويفتضح نفاقهم، يأتون بأعذار كاذبة ملفقة، ويحلفون الأيمان لتبرئة أنفسهم، إننا لم نرد مخالفة الرسول صلى الله عليه وسلم في أحكامه، إنما أردنا التوفيق والمصالحة، وأردنا الإحسان لكل من الفريقين المتخاصمين، ومن عجيب أمرهم في ذلك، أنهم إذا وجدوا الحكم لصالحهم قبلوه^(٢)، وإن يكن عليهم يعرضوا عنه.

وقد أخبر الله سبحانه وتعالى بذلك ﴿وَقَالُوا ءَأَمَّا بِاللَّهِ وَآلِ الرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ۝﴾ [٤٧] وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ۝﴾ [٤٨] وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ۝﴾ [النور: ٤٧ - ٤٩].

٩. طعنهم في المؤمنين وتشكيكهم في نوايا الطائعين.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾ [التوبة: ٧٩].

إن الله سبحانه وتعالى توعّد بالعذاب الأليم للمنافقين الذين يسخرون من

(٢) انظر: الباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي، ٤٥٢/٦.

(١) انظر: الكشف، الزمخشري، ٥٥/٥، مفاتيح الغيب، الرازي، ١٤٧/٢٥.

لهم من الوعيد الشديد، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجْدَ لَهُمْ تَصْفِيًّا﴾ [النساء: ١٤٥].

فإن الإنسان يحرص كل الحرص، ويحذر كل الحذر من الوقوع في النفاق بأنواعه، فيبدأ بتصحيح نواياه ومعتقداته، ويجعلها خالصة لله عز وجل، مما يدفعه ذلك إلى الاستقامة على طاعة ربه، فيترفع عن أخلاق المنافقين وصفاتهم الذميمة التي أشار إليها القرآن والسنة، وبذلك تتحقق الاستقامة للفرد والمجتمع.

رابعاً: الأعمال السيئة:

رهب الله سبحانه وتعالى من الأعمال السيئة، ويتبين أن الإنسان مستول عن أعماله سواء كانت صالحة أو سيئة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَلَعَلَّهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمَلِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وسوف نتحدث هنا عن بعض الأعمال السيئة في القرآن، كالقتل، والزنا، والقذف، والسرقة.

١. القتل.

إن القتل جريمة خطيرة، لها أضرارها على الفرد والمجتمع، وقد ذكر الله تحريمها في مواطن كثيرة من القرآن الكريم.

فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا

المؤمنين المتصدقين، فإذا تصدق الأغنياء بالمال الكثير عابوهم واتهموهم بالرياء، وإذا تصدق الفقراء بما في طاقتهم استهزؤوا بهم، وقالوا: إن الله غني عن هذه الصدقة، وقد روى ابن مسعود رضي الله عنه قال: (لما نزلت آية الصدقة كنا نحامل على ظهورنا، فجاء رجل فتصدق بشيء كثير، فقالوا: مراء، وجاء رجل فتصدق بصاع فقالوا: إن الله لغني عن صدقة هذا، فنزل قوله: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩] (١).

والنفاق انحراف خطير يطرأ على سلوك الإنسان، وقد رهب منه القرآن الكريم؛ حيث توعد الله سبحانه وتعالى المنافقين بالعذاب الشديد في نار جهنم.

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨].

وقد حذر الله سبحانه وتعالى من النفاق؛ لما له من آثار جسيمة على الفرد والمجتمع، فلما يعلم الإنسان خطر النفاق وآثاره المدمرة وصفات المنافقين، وما أعد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب اتقوا النار ولو بشق تمرة، ١٠٩/٢، رقم ١٣٤٩.

لَوْلَايَهُ سُلْطَنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ [الإسراء: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسْلَمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٢، ٩٣].

جاءت الآية الأولى تبين حكم من قتل مؤمناً خطأً، والقتل الخطأ هو القتل الحادث بغير قصد الاعتداء لا للفعل، ولا للشخص، كأن وقع شخص على آخر فمات، أو رمى شجرة أو دابة، فأصاب الرمية إنساناً فمات، أو رمى آدمياً فأصاب غيره فمات، فإذا حصل ووقع القتل بطريق الخطأ؛ فعلى القاتل عتق رقبة مؤمنة ودية مسلمة إلى أهل القتيل، إلا إذا عفا عنه وأسقطوا الدية باختيارهم فلا تجب حين إذن، وإذا كان المقتول مؤمناً وأهله من الكفار، فالواجب على قاتله عتق رقبة مؤمنة، ولا تجب الدية لأهله؛

لأنهم أعداء محاربون فلا يعطوا من أموال المسلمين ما يستعينون به على قتالهم، وأما إذا كان المقتول معاهداً أو ذمياً فالواجب في قتله كالواجب في قتل المؤمن، وهي دية مسلمة إلى أهله تكون عوضاً عن حقهم، وعتق رقبة مؤمنة كفارة عن حق الله، فمن لم يجد الرقبة التي يحررها فعليه صوم شهرين متتابعين، توبة من الله على عباده المؤمنين؛ لأن الله عليم بما يصلح الناس، وحكيم في تشريعه^(١).

وجاءت الآية الثانية تبين حكم وجزاء من يقتل مؤمناً متعمداً، حيث غلظ الشارع في العقوبة على هذه الجريمة؛ لعظمها عند الله تعالى، فعن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق)^(٢).

ولم يذكر القرآن الكريم له كفارة، بل جعل عقابه أشد عقاب توعد به القاتل، فهو سبب في هلاك صاحبه في الدنيا والآخرة، حيث قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا

(١) انظر: أحكام القرآن، الجصاص ١/ ١٨٠، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٤/ ١٩٢، الفقه الإسلامي وأدلته، وهبة الزحيلي، ٧/ ٥٣٧، روائع البيان، الصابوني، ١/ ٤٩٥.
(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الديات، باب التغليظ في قتل مسلم ظلمًا، ٤/ ٢١٢، رقم ٢٦١٩.

وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ٦/ ١١٩.

(اجتنبوا السبع الموبقات...) (٣) وعدّ منها قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

٣. إنّ قتل نفس واحدة كقتل الناس جميعاً، قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة: ٣٢].

قال ابن كثير: «أي: من قتل نفساً بغير سبب من قصاص أو فساد في الأرض، واستحل قتلها بلا سبب ولا جناية، ﴿فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ لأنه لا فرق عنده بين نفس ونفس» (٤).

٤. إنّ القتل أول ما يقضى فيه بين العباد يوم القيامة، فعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أول ما يقضى بين الناس في الدماء) (٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها، ١/٦٤، رقم ٨٩.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ٥/١٨٠.
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الديات، باب قول الله ومن يقتل مؤمناً متعمداً،

مَتَّعِمًا فَجَزَّأُوهُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا وَعَظِيمًا ﴿[النساء: ٩٣].

فقد حكمت الآية على القاتل المتعمد بعقوبات ثلاثة، وذلك كما يأتي:
الأولى: الخلود في جهنم.
الثانية: استحقاق الغضب واللعنة.
الثالثة: العذاب العظيم في الآخرة.
وثبت في السنة تشريع عقوبة أخرى للقتل العمد، وهي الحرمان من الإرث، والوصية، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم: (ليس لقاتل ميراث) (١).

فإذا قتل الوارث مورثه، أو الموصى له الموصي، حرم من الميراث والوصية، عملاً بمبدأ سد الذرائع؛ حتى لا يطمع أحد بمال مورثه، فيتعجل موته بالقتل، فمن تعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه (٢).
ومن أضرار جريمة القتل ما يأتي:

١. خسران القاتل الآخرة باستحقاقه العذاب والغضب واللعنة.
٢. إنها من الكبائر المنصوص عليها في حديث النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الديات، باب ليس لقاتل ميراث، ٤/٣٣٣، رقم ٢٦٤٦.
وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، ٦/١٤٦.
(٢) انظر: الفقه الإسلامي وأدلته، وهبه الزحيلي، ٦٢٨/٧.

فمن خلال ما سبق ظهرت لنا بعض أضرار جريمة القتل على مرتكبيها، فلا بد للإنسان أن يضع مخافة الله سبحانه وتعالى نصب عينيه قبل أن يقدم على هذه الجريمة؛ حتى لا يقع في الهلاك والخسران.

٢. الزنا.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهَا أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهَا فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

يقول الإمام السعدي رحمه الله: «والنهي عن قربانه أبلغ من النهي عن مجرد فعله؛ لأن ذلك يشمل النهي عن جميع مقدماته ودواعيه»^(١)، وقد كانت عقوبة الزانية في صدر الإسلام الحبس في البيت، وعدم الإذن لها بالخروج، وكانت عقوبة الرجل التائب والتوبخ قولاً، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي يَأْتِيكَ الْفَاحِشَةُ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهَا أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهَا فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٥].

ثم نسخ ذلك بجلد الزاني أو الزانية البكر، ورجم المحصن منهم^(٢).

قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَشَهِدَ عَدَاهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٦٠ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢، ٣].

ذكر الله سبحانه وتعالى عقاب من انتهك حرمات الله تعالى بالزنا، وبين عقوبة كلٍّ من الزانيين، وهي مائة جلدة، تستوفونها منهما كاملة دون رحمة أو شفقة، ودون تخفيف من العقاب، أو انتقاص من الحد، وقدم الزانية لأن الزنا كان حينئذ في النساء أكثر، فإنه كان منهن إماء وبغايا يجاهرن بتلك الجريمة، فإن جريمة الزنا أخطر وأعظم من أن تستدر العطف، أو تدفع إلى العفو عن مرتكب هذه الجريمة النكراء، فإن من عرف آثار جريمة الزنا وأضرارها من تدنيس للعرض والشرف وضياع للأنسب، واعتداء على كرامة الإنسان، وتلطيف لهم بالعار، وتعريض الأولاد للتشرد والضياع؛ حيث يولد اللقيط وهو لا يدري أباه، ولا يعرف حسبه ولا نسبه، فمن عرف ذلك أدرك حكمة الله تعالى في تشريع هذا العقاب الزاجر الصارم، وليس هذا فحسب بل لا بد

١١١/٨، رقم ٦٤٧١.

(١) تيسير الكريم الرحمن، ص ٤٥٧.

(٢) انظر: روائع البيان، الصابوني، ١٩/٢.

ينكح المؤمنة العفيفة الشريفة، إنما ينكح من هي مثله أو أخس منه، ينكح الزاني الفاجرة، أو المشركة الوثنية، ولا عجب في أن الفاسق الخبيث لا يرغب غالباً إلا في فاسقة مثله أو مشركة، والزانية الخبيثة، كذلك لا ترغب إلا في خبيث مثلها أو مشرك^(٤).

وقد صدق الله تعالى حيث يقول:

﴿لَقَدْ يَنْشَأُ الْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثَاتِ الْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتِ وَالطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [النور: ٢٦].

هكذا نجد أن الله تعالى حرم جريمة الزنا لما فيها من أضرار عظيمة ومخاطر جسيمة تؤدي بحياة الأفراد والجماعات، حيث جعل الله تعالى عقوبة الزاني المحصن الرجم حتى الموت، والبكر الجلد مائة جلدة، وفي ذلك ردع له عن الإقدام على مثل هذه الفعل ولا حتى قربانها، وقد بين الله سبحانه أنه لا بد من حضور طائفة من المؤمنين ليشهدوا عذاب الزاني، قال تعالى: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يفيد حضور جمع من المؤمنين عند إقامة الحد؛ وذلك تنكيلاً وعبرة وعظة لغيره من التفكير في الإقدام عليها، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢].

أن تشهدوا على هذه العقوبة؛ لتكون زاجراً له ولأفراد المجتمع من اقتراف مثل هذا المنكر الشنيع، فتحصل العبرة والعظة^(١).

وعبر القرآن بقوله ﴿فَاجْلِدُوا﴾ ولم يقل: (فاضربوا) للتنبيه على أن الغرض من هذا العقاب هو الإيلاء، حيث يصل ألمه إلى الجلد؛ وذلك لعظم هذا الجرم^(٢).

وفرقت الشريعة الإسلامية بين حد البكر (غير المتزوج) وحد المحصن (المتزوج) فخففت العقوبة في الأول فجعلتها مائة جلدة، وغلظت العقوبة في الثاني فجعلتها الرجم بالحجارة حتى الموت؛ وذلك لأن جريمة الزنا بعد الإحصان (التزوج) أشد وأغلظ من الزنا قبل الإحصان في نظر الإسلام، فالجريمة التي يرتكبها رجل محصن مع (امرأة محصنة) عن طريق الفاحشة أشنع وأقبح من الجريمة التي يرتكبها مع البكر؛ لأنه قد أفسد نسب غيره، ودنس فراشه، وسلك لقضاء شهوته طريقاً غير مشروع، مع أنه كان متمكناً من قضائها بطريق مشروع، فكانت العقوبة أشد وأغلظ^(٣).

وبين الله تعالى أن الزاني لا يليق به أن

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٥٩/١٠، روائع البيان، الصابوني، ١١٢/٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١٦٠/١٢.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٧٦/٤.

(٤) انظر: روائع البيان، الصابوني، ١٢/٢.

نهى عن مقاربتة بالمقدمات، كالعزم والنظر وشبهه، ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: فعلة ظاهر فحشها وقبحها، ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾؛ قبح طريقًا طريقه؛ لما فيه من اختلاط الأنساب وهتك محارم الناس، وتهيج الفتن، فلما يعلم الإنسان أنه ينفضح على رءوس الأشهاد، يقف ويفكر مليًا في ما سيفعله، فيكون هذا الترهيب دافعًا له على الاستقامة، وإذا استقام الإنسان يستقيم حال المجتمع، فتصان الأعراض وتحفظ الأنساب^(١).

٣. القذف.

القذف جريمة عظيمة نص عليها القرآن والسنة، فهو من الكبائر، ومن أشنع الذنوب وأبلغها في الإضرار بالمقذوف والإساءة إليه؛ لذا كان التحذير منه في القرآن الكريم شديدًا، وقد عاقب الله سبحانه وتعالى القاذفين بعقوبات عديدة.

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: ٤].

قال الإمام الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: والذين يشتمون العفاف من حرائر المسلمين، فيرمونهنّ بالزنا، ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول يشهدون

(١) انظر: البحر المديد، ابن عجيبة، ٤/ ١٢٦.

عليهن أنهم رأوهن يفعلن ذلك، فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدًا، وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله وخرجوا من طاعته ففسقوا عنها»^(٢).

يقول الإمام القرطبي: «للقذف شروط عند العلماء تسعة: شرطان في القاذف، وهما: العقل والبلوغ؛ لأنهما أصلا التكليف؛ إذ التكليف ساقط دونهما، وشرطان في الشيء المقذوف به وهو: أن يقذف بوطء يلزمه فيه الحد، وهو الزنا واللواط أو بنفيه من أبيه دون سائر المعاصي، وخمسة من المقذوف وهي: العقل، والبلوغ، والإسلام، والحرية، والعفة عن الفاحشة»^(٣).

بيّنت الآية حكم جلد القاذف للمحصنة وهي الحرة البالغة العفيفة، فإذا كان المقذوف رجلًا فكذلك يجلد قاذفه أيضًا، وليس فيه نزاع بين العلماء، فإن أقام القاذف بيّنة على صحة ما قاله درأ عنه الحد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، وقوله: ﴿بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ يدل على أن شهادة الأربعة شرط في إثبات الزنا^(٤).

أوجب الله سبحانه وتعالى على القاذف

(٢) جامع البيان، ١٩/ ١٠٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ١٢/ ١٧٣.

(٤) انظر: أحكام القرآن، الكيا الهراسي، ٤/ ٢٣، تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ١٠/ ١٧١.

يجرحوا مشاعر الناس، وجريمة القذف تولّد عقوبات، حسية ومعنوية ودينية:
أولاً: العقوبة الحسية: وتتمثل في جلد القاذف ثمانين جلدة.
ثانياً: العقوبة المعنوية: وتتمثل في عدم قبول شهادة القاذف، فيهدر قوله، ويصبح في المجتمع من المنبوذين، فلا ثقة له بين الناس.
وقد توعد الله سبحانه وتعالى لأولئك الذين يرمون المؤمنات المحصنات ويتهمونهن بالزنا، باللعنة في الدنيا والآخرة والعذاب العظيم لجرم الذنب الذي ارتكبه في حقهن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].
يقول الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ قال العلماء: إن كان المراد بهذه الآية المؤمنين من القذفة، فالمراد باللعنة: الإبعاد وضرب الحد واستيحاش المؤمنين منهم وهجرهم لهم، وزوالهم عن رتبة العدالة، والبعد عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين^(١).

لذلك نجد الله سبحانه وتعالى شدد في عقوبة القذف، فجعلها قريبة من عقوبة الزنا؛ وذلك صيانة للأعراض من التهجم، وقطع ألسنة السوء، فيمتنع ضعاف النفوس من أن

يقرحوا مشاعر الناس، وجريمة القذف تولّد عقوبات، حسية ومعنوية ودينية:
أولاً: العقوبة الحسية: وتتمثل في جلد القاذف ثمانين جلدة.
ثانياً: العقوبة المعنوية: وتتمثل في عدم قبول شهادة القاذف، فيهدر قوله، ويصبح في المجتمع من المنبوذين، فلا ثقة له بين الناس.

وقد توعد الله سبحانه وتعالى لأولئك الذين يرمون المؤمنات المحصنات ويتهمونهن بالزنا، باللعنة في الدنيا والآخرة والعذاب العظيم لجرم الذنب الذي ارتكبه في حقهن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاضِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ٢٣].

يقول الإمام القرطبي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ قال العلماء: إن كان المراد بهذه الآية المؤمنين من القذفة، فالمراد باللعنة: الإبعاد وضرب الحد واستيحاش المؤمنين منهم وهجرهم لهم، وزوالهم عن رتبة العدالة، والبعد عن الثناء الحسن على ألسنة المؤمنين^(١).

لذلك نجد الله سبحانه وتعالى شدد في عقوبة القذف، فجعلها قريبة من عقوبة الزنا؛ وذلك صيانة للأعراض من التهجم، وقطع ألسنة السوء، فيمتنع ضعاف النفوس من أن

٤. السرقة.

السرقة من الجرائم العظيمة في الإسلام، فهي لا تحل في شرع الله، ولا في أي قانون وضعي؛ لأن إباحة السرقة تخل بأمن الناس، وتفقد الطمأنينة؛ ومن ثم يتزعزع استقرار المجتمع؛ لذا فقد جعل الله سبحانه

(٢) انظر: التشريع الجنائي في الإسلام، عبدالقادر عودة، ١٧٧/٢.

(١) الجامع لأحكام القرآن، ٢١٠/١٢.

و تعالى عقوبة السرقة القطع زجرًا لأخذ الأموال بغير حق.

يقول تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (٣٨) ﴿مَنْ تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨، ٣٩].

الأحكام التشريعية المستنبطة من النص: جاءت الآية الأولى تبين حكم السرقة، فكل من يسرق فحكمه أن تقطع يده اليمنى من الكوع، وكذا يد السارقة؛ مجازاة لهما على ظلمهما بالاعتداء على أموال غيرهم، وقد ذكر ﴿وَالسَّارِقَةُ﴾ عطفًا على ﴿وَالسَّارِقُ﴾ حتى لا يفهم منها أن الحكم مقتصر على الذكور فقط دون الإناث، فقد كانت العرب لا تقيم الحدود على الإناث قبل الإسلام، ونلاحظ أن الآية لم تبين مفهوم السرقة ولا النصاب الذي تسمى عنده سرقة فتوجب الحد، ولا كيفية القطع ومكانه، فقد بينت ذلك السنة النبوية، كما بينت الآية أن هذا الحكم إنما هو جزاء من الله على ظلم السارق والسارقة في اعتدائهما على حقوق العباد، وأنه عقوبة من الله تعالى لهما تجعل غيرهما لا يقدم على أخذ أموال الناس بطريق السرقة المحرمة، وذلك الحكم لأن الله سبحانه و تعالى ﴿عَزِيزٌ﴾ في ملكه لا يغالبه مغالب، و﴿حَكِيمٌ﴾ في تدبيره

وقضائه^(١).

وبيئت الآية الثانية أن من تاب من السارقين بعد قيامه بالسرقة فأقلع عن السرقة وعمل عملًا صالحًا، فإن الله يقبل توبته، لكن مع الانتباه أن الآية لم تذكر إسقاط عقوبة السرقة، وإن جاء السارق تائبًا قبل القدرة عليه^(٢).

وقد جعل الله تعالى عقوبة السرقة هي القطع «ليكون هذا العقاب الصارم عبرة للناس؛ حتى يرتدع أهل البغي والفساد، ويأمن الناس على أموالهم وأرواحهم»^(٣). وعليه فالجزاء على السرقة جزاء يقصد منه الردع وعدم العود، فليس بانتقام، ولكنه استصلاح وتهذيب لسلوك الفرد والمجتمع، فلا يكون المراد أن القطع تعويض عن المسروق، فعندما يعلم المكلف أن يده ستقطع، وأنه سيصبح بلا يد فتكون علامة مادية للمجتمع أنه سارق، فإنه سيفكر جيدًا في هذا التصرف من حيث أنه سيلقى عقابه بقطع يده، وسيلقى الخزي بين مجتمعه بيده المقطوعة؛ ومن ثمَّ يصبح هذا الحكم دافعًا له للاستقامة على الطاعة وحفظ الأمانة، واجتناب المعصية.

(١) انظر: أيسر التفاسير، أبو بكر الجزائري، ٦٢٩/١.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ٦/١٩٠-١٩٣.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، ١/٢٥٣.

صور الترهيب في القرآن الكريم

ذكر القرآن الكريم صور وطرقاً عديدة تخوف المؤمن من حصول العذاب في الدنيا والآخرة، فمن طريقة القرآن الكريم وأساليبه، ترهيب المؤمن بما أعد الله من أصناف العذاب لمن خالف أمره، وكل ذلك حتى يكون على طاعة مستمرة لربه، وبذلك يحصل له الفوز في الدنيا والآخرة.

والمأمل في القرآن الكريم يجد أن أسلوب الترهيب لم يأت بصيغة الترهيب الصريحة فحسب، بل جاء في العديد من المواضع بطريق التلميح والتعريض والتهديد، وبطرق أخرى نبيتها فيما يلي:

١. التهديد والتخويف بصيغة العلم.
فكثيراً ما يقع التهديد في القرآن بذكر (العلم)، والمثال على هذا قوله عز وجل: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلْقَوْنَ فِيهَا وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

فالأمر بـ (العلم) بأن لقاء الله آتٍ لا مفر منه مشعر بالتهديد^(١)، ومن هذا القبيل أيضاً، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١١٩].

٢. الترهيب بصيغة (أفعل).
والمراد: المبالغة في التهديد والزجر، والمثال عليه قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ

مَنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

ففي الآية تهديد عظيم لمن منع مساجد الله أن تقام فيها العبادة، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

٣. الإملاء للمعرضين والإمداد لهم.

والمثال عليه قوله سبحانه: ﴿قَذَرَهُمْ خَتَنُ يُحِزُّوا وَيَلْعَبُوا خَتَنٌ يُؤَلِّفُ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ بِالَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣].

ونظير هذا قوله عز وجل: ﴿قَذَرَهُمْ خَتَنُ يُؤَلِّفُ لَهُمْ يَوْمَئِذٍ بِالَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الطور: ٤٥].
٤. التعبير بصيغة المستقبل بالإخبار عن عاقبة المعرضين.

ومثاله قوله تعالى: ﴿سَأُوزِيكُمُ الدَّارَ الْفَنِيَّةَ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

يقول ابن كثير: «سترون عاقبة من خالف أمري وخرج عن طاعتي كيف يصير إلى الهلاك والدمار والتَّباب»^(٢)، ونظيره قوله سبحانه: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

(٢) تفسير القرآن العظيم، ٣/ ٤٢٦.

(١) انظر: جامع البيان، الطبري، ٣/ ٧٦٣.

٥. الأمر بطاعة الله سبحانه والرهبة منه.

مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي قَارِعُهُنَّ﴾ [البقرة: ٤٠].

فالأمر هنا متضمن معنى التهديد والوعيد.

٦. تكرار الكلام بلفظه، والقصد التهديد.

قال تعالى: ﴿فَيَا أَيُّهَا آلَ رَيْكَمَا تَكْذِبَانِ﴾ [الرحمن: ١٣].

فقد تكررت هذه الآية كثيرًا في سورة الرحمن؛ بقصد التهديد لمن تنكر لنعم الله عليه وأفضاله.

٧. إخباره سبحانه بعدم غفلته عما يفعله عباده.

والمثال عليه قوله تعالى: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

فالمراد: التهديد، ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

٨. الخطاب بلفظ (الإنذار).

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنْذَرُهُمْ يَوْمَ انْحَسَرَ إِذْ قَضَى الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩]. فالإنذار يتضمن معنى التهديد.

٩. ختم الآيات بعبارات تفيد أن من

يخالف أوامر الله سبحانه فإنه معرض للعذاب الشديد.

كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩].

١٠. الإخبار بلفظ الغلبة والحشر.

كقوله سبحانه: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَعْتٌ وَلَٰكِنْ سَعْتُهُمْ لَا تَنْفَعُهُمْ إِذْ جَاءَهُمُ الْعَذَابُ﴾ [آل عمران: ١٢].

فالمراد بـ (الغلبة) و (الحشر) هنا التهديد.

١١. التذكير بالأمم السالفة، وما نزل بها من العقاب والعذاب.

كقوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَهُمْ فَكَذَّبُوا رَسُولِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبا: ٤٥].

فالآية سقت مساق التهديد بتذكيرهم بالأمم السالفة التي كذبت رسلها، وكيف عاقبهم الله على ذلك، وكانوا أشد قوة من قريش، وأعظم سطوة منهم.

ومن خلال ما تقدم تبين أن أساليب القرآن الكريم تعددت في خطاب النفس البشرية، ما بين ترويب وإنذار، ووعيد، وتخويف، وكان الترويب من الأساليب التي اعتمدها القرآن في خطابه؛ وذلك أن من النفوس البشرية من لا تستجيب لنداء الحق إلا إذا خوطبت بخطاب فيه تهديد ووعيد.

حينما يقصّر في أداء ما فرضه الله سبحانه وتعالى عليه من العبادات، وللعبادات تأثير واضح في سلوك الفرد، فهي التي تزكي نفسه، وتزيد مراقبته لربه تعالى في السر والعلن، والخوف منه، فينزجر عن المعاصي والإضرار بالناس، ويسارع إلى عمل الخير، ولا شك أن المجتمع سيكون سعيداً إذا زاد فيه عدد الصالحين الخائفين من الله تعالى، وأن كمية الخير في المجتمع ستكثر، وأن الجرائم تقل، فالعبادات في الإسلام تصلح الفرد والمجتمع، ولها الأثر الكبير في استقامة الإنسان^(٣).

وكذلك إذا اجتنب المرء ما نهى الله عنه من كبائر الذنوب والمعاصي، يبقى الفرد في اتصال دائم مع ربه فيخاف عقابه وعذابه ويرجو رحمته، قال تعالى: ﴿إِنْ يَحْتَسِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكْفَرْ عَنْكُمْ سِغَاتِكُمْ وَنَدْخَلْكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

يقول القاسمي في تفسيره: ﴿إِنْ يَحْتَسِبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ أي: كبائر الذنوب التي نهاكم الشرع عنها، مما ذكرها هنا ومما لم يذكر، ﴿نَكْفَرْ عَنْكُمْ سِغَاتِكُمْ﴾ أي: صغائر ذنوبكم، ونمحوها عنكم، وندخلكم الجنة^(٤).

(٣) انظر: أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص ٦٩.

(٤) محاسن التأويل، ٣/ ٨٨.

أثر الترهيب في سلوك المرء

إن القرآن الكريم استخدم الكثير من الآيات المتضمنة للترهيب، قال تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَخَّرُوا إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾ [النحل: ٥١].

قال البيضاوي في تفسيره: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَذَخَّرُوا إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ ذكر العدد مع أن المعدود يدل عليه دلالة على أن مساق النهي إليه، أو إيماء بأن الاثنية تنافي الألوهية، كما ذكر الواحد في قوله: ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾، للدلالة على أن المقصود إثبات الوحدة دون الإلهية، أو للتنبيه على أن الوحدة من لوازم الإلهية، ﴿فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾ نقل من الغيبة إلى التكلم مبالغة في الترهيب، وتصريحاً بالمقصود، فكانه قال: فأنا ذلك الإله الواحد فإياي فازهون لا غير^(١)، وفي قوله: ﴿فَإِنِّي فَازَهُبُونَ﴾ يقول: فإياي فأتقوا وخافوا عقابي بمعصيتكم إياي إن عصيتموني وعبدتم غيري، أو أشركتم في عبادتكم لي شريكاً، فدلّت هذه الآية على مخافة العبد من غضب الله وسخطه وعذابه^(٢).

ولا شك أن الترهيب بأنواعه المتعددة وأساليبه المختلفة له أثره الكبير على سلوك المرء؛ لكون هذا الأسلوب رادعاً للفرد

(١) أنوار التنزيل، ٣/ ٢٢٩.

(٢) انظر: جامع البيان، الطبري، ١٧/ ٢٢٠.

فوائد الترهيب في التربية والدعوة

أولاً: فوائد الترهيب في التربية:

لاشك أن الترهيب في التربية له فوائد كثيرة التي تعود بالنفع على صاحبه، وتظهر مكانة الترهيب وأهميته من أمر الله تعالى الصريح بتطبيقه واستعماله في حقه جلّ ثناؤه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَرُوا فِي حَقِّهِ﴾ [البقرة: ٤٠].

وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْا الْنَّكَاسَ وَأَخْشَوْا﴾ [المائدة: ٤٤].

فالترهيب من ركائز الإيمان، فيقتضي الخوف؛ لذا قيده الله تعالى بالإيمان في قوله: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥].

فجعل الخوف والرهبنة شرطاً في تحقيق الإيمان، فإذا تحقق الشرط وهو الخوف، تحقق المشروط وهو الإيمان، فالمقصود أن الخوف من لوازم الإيمان وموجباته فلا يختلف عنه، فالخوف يربي المؤمن على طاعة ربه، ومن ثم يبقى على صلة بالله؛ فيزداد إيمان المؤمن بالطاعات، وبالبعد عن المنكرات.

وكذلك فإن الترهيب سبب في وصول المسلم إلى أعلى الدرجات، فمثلاً صاحب القلب الخائف، هو الذي يقيم الصلاة على أكمل وجه، وهو الذي يؤدي الزكاة

ومن رحمة الله سبحانه وتعالى بعباده أن جعل باب التوبة مفتوحاً لمن أقدم على كبيرة من الكبائر، كالقتل والشرك والزنا والعقوق وغيرها من الآثام، قال سبحانه: ﴿وَلِيَّ لَغَفَّارٍ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

أي: إن الله يغفر لمن رجع عما كان فيه من كفر أو شرك أو نفاق أو معصية، وآمن بقلبه، وعمل الصالحات بجوارحه ثم استقام على طاعة ربه^(١).

فلما يعلم المرء أن الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب والكبائر والمعاصي، فإنه يبادر إلى التوبة والرجوع والإنابة إلى الله وحده، فيستقيم على طاعة ربه، ويبتعد عن كل ما يسيخط الله ويغضبه؛ لأنه يعلم الوعيد الذي أعده الله سبحانه لمن خالف أمره وعصاه، فلو استطاع الإفلات من عذاب الدنيا، فإن العقاب الأخروي ينتظره، فمن ثم يكون لهذا الترهيب الأثر البالغ على سلوك المرء، لاسيما وإن الترهيب يثير عند الإنسان عامل الخوف، وعامل الرجاء والأمل، وهما في الواقع يوجهان اتجاه الإنسان إلى السلوك الأفضل والطريق الأقوم.

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٣٠٩/٥.

بنفس طيبة، وهو الذي يخشى الله في السر والعلن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الَّذِينَ لَهُمْ أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِي سَدَقَاتٍ كَارِهَاةٍ يَتَذَكَّرُونَ أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَلَهُمُ الْبُورُ﴾ [التوبة: ١٨].

ولهذا كان جزاؤه الفوز والفلاح وميراث جنة الفردوس.

وقد بين سبحانه وتعالى اتصاف أنبيائه صلوات الله وسلامه عليهم به، بعد أن أثنى عليهم ومدحهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانُوا إِسْرَارًا وَكَانَ اللَّهُ مُدْرِكُ السِّرِّ﴾ [التوبة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿قَدْ كُنَّا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنَّمَا نَبْغِي الْغَايَةَ﴾ [التوبة: ١٨].

وقال سبحانه: ﴿إِن فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾ [هود: ١٠٣].

ومن خلال ما سبق ذكره من الآيات ظهر لنا فوائد الترهيب في التربية، فهو سبب في القضاء على كثير من الأمراض والجرائم الاجتماعية، والمخالفات السلوكية، وسبب في تقوية وزيادة الإيمان، بمعنى أن من لم يرتدع بالترغيب والإرشاد والجدل واللين، واستمر على ما هو عليه، فلا بد له حينئذٍ من سياط التخويف وسطوات السيوف من خلال الترهيب العملي، فمثلاً المرتد المصّر على رذته يقتل، والزاني المحصن يجرم، والسارق المستمر في فعله تقطع يده، ومن خلال ما سبق ظهر لنا فوائد هذا الأسلوب في التربية.

وقال تعالى عن ملائكته الكرام الذين آمنهم من عذابه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال سبحانه عن عباده العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وهكذا نجد أن الأنبياء والملائكة والعلماء كانوا يدعون ربهم خوفاً ورهبة منه سبحانه وتعالى، وفي ذلك دعوة لنا أن نتذكر هذا الأسلوب الناجع في حياتنا، فالأفضل منا جميعاً كانوا يتصفون به، فمن باب أولى أن نكون أول من يلتزم ويتذكر هذا الأسلوب التربوي الذي ذكره الله سبحانه في كتابه؛ كي يكون رادعاً لنا في حياتنا اليومية.

والترهيب سبب في الانتفاع بالعبر والقصص القرآنية التي تحدثت عن مصير

وقال تعالى عن ملائكته الكرام الذين آمنهم من عذابه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال سبحانه عن عباده العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وهكذا نجد أن الأنبياء والملائكة والعلماء كانوا يدعون ربهم خوفاً ورهبة منه سبحانه وتعالى، وفي ذلك دعوة لنا أن نتذكر هذا الأسلوب الناجع في حياتنا، فالأفضل منا جميعاً كانوا يتصفون به، فمن باب أولى أن نكون أول من يلتزم ويتذكر هذا الأسلوب التربوي الذي ذكره الله سبحانه في كتابه؛ كي يكون رادعاً لنا في حياتنا اليومية.

والترهيب سبب في الانتفاع بالعبر والقصص القرآنية التي تحدثت عن مصير

وقال تعالى عن ملائكته الكرام الذين آمنهم من عذابه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال سبحانه عن عباده العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وهكذا نجد أن الأنبياء والملائكة والعلماء كانوا يدعون ربهم خوفاً ورهبة منه سبحانه وتعالى، وفي ذلك دعوة لنا أن نتذكر هذا الأسلوب الناجع في حياتنا، فالأفضل منا جميعاً كانوا يتصفون به، فمن باب أولى أن نكون أول من يلتزم ويتذكر هذا الأسلوب التربوي الذي ذكره الله سبحانه في كتابه؛ كي يكون رادعاً لنا في حياتنا اليومية.

والترهيب سبب في الانتفاع بالعبر والقصص القرآنية التي تحدثت عن مصير

وقال تعالى عن ملائكته الكرام الذين آمنهم من عذابه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [النحل: ٥٠].

وقال سبحانه عن عباده العلماء: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

وهكذا نجد أن الأنبياء والملائكة والعلماء كانوا يدعون ربهم خوفاً ورهبة منه سبحانه وتعالى، وفي ذلك دعوة لنا أن نتذكر هذا الأسلوب الناجع في حياتنا، فالأفضل منا جميعاً كانوا يتصفون به، فمن باب أولى أن نكون أول من يلتزم ويتذكر هذا الأسلوب التربوي الذي ذكره الله سبحانه في كتابه؛ كي يكون رادعاً لنا في حياتنا اليومية.

ثانيًا: فوائد الترهيب في الدعوة إلى الله:

قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَخَدِّ لَهُمُ الْبَالِغِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

الدعوة إلى الله واجب كل مسلم، كما كانت من قبل وظيفة الأنبياء والرسل، ولقد شرع لنا الله سبحانه في دعوتنا للناس أساليب ووسائل تتنوع بين الحين والآخر، فقد يستخدم مع المدعو أحيانًا أسلوبًا أو وسيلة تختلف عنه مع مدعو آخر.

ومن هنا يبرز لنا أهمية أسلوب الترهيب في الدعوة إلى الله؛ لأن هنالك بعضًا من الناس وأصنافًا منهم لا يجدي فيهم الترغيب والوعود الجميلة، وإنما ينفع معهم التقريع والتعنيف والتهديد، وكسر حدة النفس وتوثها وإعراضها عن الحق، وإلزامها كلمة التقوى والمتابعة، فكان الترهيب والتخويف مناسبًا لذلك.

ومن صورته: الترهيب من ترك جنس الطاعات، وعدم القيام بأركان الإسلام والإيمان والإحسان، أو التهاون في بقية أنواع الطاعات الأخرى، والحقوق والواجبات المترتبة على المسلم، فناسب تنبيهه إلي ما ينبغي عليه العمل به والتحلي

بموجبه^(١).

لذلك ينبغي للداعية عندما يلجأ إلى الترهيب في الدعوة إلى الله، أن يوازن بين ما يحصل من مفسد، وما يترتب على ترهيبه من مصالح، إذ لابد أن تكون المصلحة الترهيبية راجحة على المفسدة؛ لأن هذا هو الذي يحبه الله ويرضاه، وبهذا بعثت الرسل وأنزلت الكتب، لذا إن تأكد الداعية حدوث مفسدة أعظم من التي أراد إزالتها بسبب ترهيبه فليس له أن يرهّب، وكذلك لابد للداعية أن يكون حريصًا على إيصال الحق إلى الخلق، فهو مطالب باستخدام هذه الوسيلة، فبيننا محمد صلى الله عليه وسلم ذهب إلى عكاظ وذو المجاز وغيرهما وغشى أندية قريش واجتماعاتهم، ولكن لابد للداعية أن يكون متسلحًا بالعلم وقوة الإيمان والأسلوب الأمثل للمدعوين زمانًا ومكانًا وتأهيلًا^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

فلا بد للداعية المسلم أن يكون حريصًا على دعوة أخيه إلى الخير، وينهاه عن المنكر في دنياه؛ لأن هناك الكثير من الناس يتعلق

(١) انظر: وسائل الدعوة، عبد الرحيم المغذوي، ص ٢٠٥.

(٢) انظر: من وسائل الدعوة، محمد بن عبد العزيز الشويبي، ص ٢٩.

عَذَابٌ سَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُورِ ﴿٢٠﴾ [الحديد: ٢٠].

يقول السعدي في تفسيره: «يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله، وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعباً ولهواً، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي»^(١).

وهكذا تظهر لنا فوائد الترهيب في الدعوة إلى الله؛ لأن هناك بعض المدعوين لا ينفع معهم الترغيب، فهو بحاجة لأسلوب رادع وزاجر كأسلوب الترهيب في القرآن.

موضوعات ذات صلة:

التربية، الترغيب، الدعوة، النصيحة

بهذه الدنيا الزائلة، ويجعلها همه وغايته، ولما كان الإنسان يعيش في الدنيا ويتعرض لإغراءاتها مما قد يجره إلى الركون إليها، والتعلق بها، ونسيان الآخرة، فلا بد إذن من تنفير المدعوين من إثارتها على الآخرة، لا من الفرار منها جملة واحدة، مع بيان حقيقتها وقيمتها وقدرها بالنسبة إلى الآخرة ونعيمها.

وقد بين ذلك كله القرآن الكريم خير بيان، مما يجعل أي مسلم عاقل يؤثر الآخرة على الدنيا، بل ويجعل المدعو غير المسلم منجذباً إلى هذه الحقائق في موازنة الدنيا مع الآخرة، وقد يجره ذلك إلى الإيمان لما يحسه من صدق هذا البيان والتصوير لقيمة الدنيا الفانية، ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَزَلْنَاهُ مِّنَ السَّمَاءِ فَاتَخَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُوا مِنَّا عَلَيْهِمْ أَنهَآ أَمْرًا لَّيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبْ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَوةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكِبَارٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَأُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرَاهُ مَصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا وَفِي الْآخِرَةِ

(١) تفسير الكريم الرحمن ص ٨٤١.